بارت وباطاي.. كتابة التجاوز وابستمولوجيا الانتهاك

Bataille and Barthes... Writing of Transgression and the Epistemology of Violation

بويكن باهي عمر فراح[*1]

منصوري مختار[2]

[1]جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر bouiken.farah31@gmail.com

[2] جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر manssourimokhtar7@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/30 تاريخ القبول: 2021/07/27 تاريخ النشر: 2021/12/23

الملخص:

مر تاريخ الكتابة والفكر عامة بعدة مراحل، اذ يمكن لأي باحث أن يلاحظ الفرق الشاسع بين الكتابة بالإبيستيما القديمة التي تهيمن عليها الذات الكاتبة المشبعة بثقافة المؤلف ومعتقداته والأعمال والأفكار المنتشرة في مجتمعه وحقبته، مقابل ذلك سوف يلمس تغيرا جذريا في نصوص العديد من المفكرين والفلاسفة والأدباء وحتى اللغويين الذين يكتبون في وعن طريق الإبستيما المعاصر التي تعتبر كتابة لا شخصية، كتابة تفردة بالكتابة عن طريق ضمير الغائب، كتابة تذوب فيها الأنا لصالح الأخر كتابة يفقد فيها الوجود أنطولوجيته. هذا النوع من الكتابة هو ثورة ضد القيم وكل أشكال التقديس والإيديولوجيات والبديهيات التي تراكمت في الثقافة المعاصرة، لذلك وقع اختيارنا على رولان بارت و جورج باطاي كنموذج لهذا النوع من الكتابة. بغية تحليل هذا النوع من الكتابة الذي يتجاوز كل الحدود الفكرية لكي يعلم الباحث الكيفية التي يستطيع من خلالها شق مساره الفكري والكتابي بعيدا عن عقلية القطيع، وبالتالي تتعلم الذات أن تطرح ذاتها للمساءلة الراديكالية لتتحرر من الأوثان الفكرية، تطلق العنان للإبداع الفكري، تحتفي بهذا النوع الجديد من الكتابة التي تذهب لأقصى حد، ازاحة الحدود، تنزل المقدسات من عرش اليقين، بعبارة أخرى الكيفية التي تعلم بها هذه الكتابة الباحثين والدارسين الانفتاح على المواضيع المهمشة وتجاوز الدغمائية في الطرح؟

[*] المؤلف المرسل : **بويكن باهي عمر فراح**

الكلمات المفتاحية: جورج باطاي، رولان بارت، كتابة التجاوز، ابستمولوجيا الانتهاك، الازاحة، المقدس

Abstract

The history of writing and thought in general passed through several stages, as any researcher can notice the vast difference between writing in the ancient epistema dominated by the writing self saturated with the author's culture, beliefs, works and ideas spread in his society and his era, in return for that he will touch a radical change in the texts of many thinkers, philosophers, literati and even Linguists who write in and through the contemporary epistema which is considered a non-personal writing, a writing uniquely written by the third person pronoun, a writing in which the ego melts in favor of the other in writing in which existence loses its ontology. This type of writing is a revolution against the values and all forms of reverence, ideologies and intuitions that have accumulated in contemporary culture, so we chose Roland Barthes and Georges Bataille as a model for this type of writing. In order to analyze this type of writing that transcends all intellectual boundaries so that the researcher knows how by which he can split his intellectual and written path away from the mentality of the herd, and thus the self learns to present itself to radical accountability to be liberated from intellectual idols, unleash intellectual creativity, celebrate this new type From writing that goes to the maximum, removing boundaries, the sanctities descend from the throne of certainty, in other words, how does this writing teach researchers and scholars to be open to marginalized topics and to transcend the dogmatic in proposition?

Keywords : George Butay, Roland Barthes, Writing transgression, Violation, displacement, sacred.

1.مقدمة

"لا يمكن فصل الأدب عن الشر، لأنه إذا ابتعد أصبح رتيبًا ومملًا.. اللغة هى تعبير الانسان المتحضر لمواجهة العنف الصامت للطبيعة..!" (جورج باطاي)

مع انتهاء القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين؛ تعرضت **ظاهرة الكتابة** الى تحولات ضخمة، في اساليب الانشاء اللغوية، الاشتقاق وكيفية بناء الاستعارات اللغوية، بما يستجيب للموضوعات

الجديدة، بل حتى القديمة تم تناولها بشكل مغاير ومختلف، حتى بدا الامر ملحا لاعادة النظر في **تقنيات الكتابة**، من اجل الخروج من نطاق الكتابة **التأملية الانطباعية**. مما احدث انقلابا في **استراتيجيات التفكير الابستمولوجية**، وحدود **المفاهيم** المعرفية. اذ أصبح الحديث عن الكتابة عموما والكتابة الفلسفية خصوصا، انشغالا للعديد من الإشكاليات والإستفهامات، أو **ثورة ضد البديهيات والمسلمات** التي تراكمت حتى اضحت مطلقة ومقدسة (أو **الطابوهات** taboo) لا يمكن تجاوزها.

في أواخر سنة 1990 ظهر تيار من المفكرين والأدباء والنقاد، حاول ممارسة نوع من النقد والتعرية من اجل فضح **استراتيجيات الهيمنة**، التي تخفي بها زيفها وتناقضها. حاول اصحاب هذا التيار جعل **الكتابة فعل لازم غير متعدي**، حسب تعبير بارت فيما بعد، (رولان بارت، السنة، الصفحة) لأنها الشرط والمطلب الذي من خلاله ينعتق الكائن من الكبت واللجم والتصورات التي ولدت مرض الخوف، الخشية من خوف أكبر هو العالم الخارجي والمجتمع، **الأنا الأعلى**، الذي أصبح إلها، بعد **الإعلان النتشوى** عن موت الإله.

وكان من اهم القضايا الفلسفية والادبية هو اعلاء قيمة **الذات**، اوالانا للكاتب، وبالتالي المساءلة الراديكالية لكل المعوقات الايديولوجية والاكراهات المجتمعية، امام **حرية ذات الكاتب**. كان السؤال الانطولوجي، أو **الروح الديونيزوسية** بالتعبير البطاي، الجانب المتأصل في الكائن والكينونة، اذ أصبحت الكتابات حينها تحتفي بالجسد وتنحرف عن الكتابة الكلاسيكية. اذ اعلنت الروح الديونيزوسية في الكتابة، حسب بارت، عن تفكك **الوحدة الإيديولوجية** للكتابة الكلاسيكية الفرنسية، 1980-1915، لتصفها بالكتابة السطحية التي لا تستطيع احتواء الجسد وكل الأسئلة التي يطرحها، بكل بساطة لا تستطيع احتواء الجانب اللاعقلاني واللاواعي من الإنسان لذلك تقوم بتهميش وإقصاء هذا الجانب.

كما استحدثت انواع من الكتابات النقدية تقوم على ركائز الكشف والتعرية **للحقائق المتعالية** (الترنسندنتالية transcendantale) الموروثة، التي أعلت من عقلانية الإنسان، بالتالي الانتقال من السطح إلى العمق، من الظاهر إلى الباطن والمتستر، لتتحول الكتابة إلى **تجاوز التخوم**، من أجل استحضار المقصي والتنقيب عن المنسي و**المسكوت عنه** (le non –dit)، ليصبح النص هو العين التي

ترى اللامرئي لتدرك الآخر. عندما **تجعل الذات** ذاتها **موضوعا** للعشق والرغبة والتأمل العرفاني، من اجل ان يتأرجح **الكائن** في أحضان المعاناة، ويضيء على هذا **المهمش**، ليضحي من أجل الآخر، أو **موضوع العشق**، تلك هي اللذة القصوى، اللذة في الألم، التي تمكن، بالتعبير النتشوي، **الكائن التراجيدي** الفنان من العثور عليها، بحيث يعيد للحياة روحها و كثافتها و متعتها.. **جانبها الديونيزوسي**، لكن هذه المرة عن طريق الكتابة التي تسمح بتفكيك **البرادغمات*** المتكلسة التي كانت تضبط نمط واسلوب الكتابة. ان التمعن في تاريخ الكتابات الفرنسية سنجدها كتابات مقننة ومؤطرة، ليس بها أي **إنتهاكات**، بل ربما سنجد إنها كتبات تكرر نفسها، لا تستهدف إلا الاستهلاك، هى **كتابات معبأة مسبقا**، تأسس لثقافة **الكتابة تحت الطلب**، تلبية لاحتياجات الإيديولوجيات السائدة.

كتابة كل من بطاي أولا وبارت ثانية كانت بمثابة الكتابات الإرهابية، كتابات محاربة تفتك وتهدم وتدحض لتعيد البناء، وباتالي كانت كتابات مختلفة كتابات تهدم الأنساق وتفتت الإيديولوجيات التي خيمة وتربعت على عرش الكتابة الفرنسية لقرون، بالتالي انتهك، هذا النوع الجديد في الكتابة، ثوابت اساليب الكتابة بالتفكير في المحرم والمقدس انتهاكا ونقدا، وحرك المقصي في الظلمات والتستر إلى النور والجهر، وبالتالي حرر الحياة من تلك الأنساق والاعتبارات، التي طالما كبتت ولجمت هذا النوع من الكتابة أو التفكير. فأصبحت الكتابة مع هؤلاء المحاربين **عشقا لتجاوز وهتك الحدود**، والتفكير في اللا مفكر فيه.

---

*__البردغم__ (paradigme): أول من أستخدم هذا المصطلح كان توماس كوهن في كتابه بنية الثورات العلمية سنة 1962، ومنذ ذلك الحين؛ أنتشر هذا المصطلح بشكل واسع في عدة مجالات وصولا إلى العلوم الإنسانية. حتى أصبح يعني ثورة علمية في النمط الفكري وللدلالة على التحولات التي تطرأ على الأنماط الفكرية مثلا البردغم الكلاسيكي فالحديث فالمعاصر...الخ. كما يترجم هذا المصطلح عادة إلى **النموذج الفكري**، أوالنموذج الإدراكي، أوالإطار النظري، للإشارة إلى أي نمط تفكير علمي أو تخصص أو موضوع له علاقة بنظرية المعرفة "الإبستمولوجيا ". بدأ استعمال هذه الكلمة قصرا على قواعد اللغة و الكتابة الإنشائية في علوم اللغة و وقد استخدم دوسوسير هذا المصطلح ليشير طائف من العناصر المتشابهة الجوانب. كما يمكن فهم معنى هذه الكلمة من خلال النموذج الجديد للنظام الاجتماعي والذي يمكن لنا وصفه بردغم أو نموذج أو نسق فكري جديد. كما ان مصطلح **بردغم** لازالت بصدد الصقل وبيتر و يزكى، حسب الأيديولوجيات و المذاهب الفكرية و السياسية ، فلم يصاغ لها لحد الساعة مفهوم محدد أو مفهوم جامع مانع.

هذا النوع من الكتابة هو مغامرة فكرية شاقة وشائكة ومشوقة في الوقت عينه، بحيث يجب على الكائن مواجهة هذه **الحدود والطابوهات** بكل فرح وسرور و إقدام منقطع النظير. كانت البداية بالتعدي وانتهاك فكرة الموت مع **نيتشه**، بما اصطلح عليه حب القدر أوحب الاقتدار، بحيث أن **الموت كان أول الحدود**، التي كان يجب على الجسد تجاوزها ومواجهتها **بفرح نتشوي**، بحيث ان اختيار الموت يصبح لذة ومتعة. هذه التجربة لن تتأتى لنا إلا من خلال **فلسفة للعشق**، بحيث نتمكن من إزاحة كراهية الموت إلى لذة، وبالتالي فان هذه التجربة تتيح للوعي* الانتباه والإمعان إلى الازاحات اللاواعية التي تخترقه دائما، فتصبح تجربة العشق والموت، وعي بلا مركزية الوعي، ونخرا لثوابت الدغمائية في الفكر والكتابة معا، بحيث تتحرر الكلمة في الوقت عينه الذي يتحرر فيه الفكر، لتصبح الكتابة منهجا جديدا لصناعة وإنارة الوعي. كما ان النوع الجديد في هذا **الخطاب النقدي**، انه كان خطابا مغايرا من حيث لغته، وإيماءته الجسدية، وكثرت إيحاءاته وإحالاته التي لا تسكن، لغة مبتهجة تحتفي بالجسد والإنسان الماجن المجنون الإيرويسي، بحيث أن الخطاب النقدي الكلاسيكي لم يكن يتسم بهذا الطابع الكرنفالي المتعدد الأصوات. خطاب تميز بنقد الحداثة بكل معايرها، خصوصا بعد إعلان الحداثة إفلاس العقل الذي بجلته، حيث ظهرت تناقضاته، ومأزقه.

ان هذه الكتابات الجديدة التي ظهرت في الساحة الفكرية الفرنسية انذاك، كانت تحاول نقد البردغم السابق الذي أعلا من عقلانية البشر ومجد العقل معتبرا إياه أورغانون لا يخطئ مقصيا بذلك جوانب أخرى من الإنسان، هذا التيار فضح هذه الأيديولوجيات وحاول إرجاع العقل إلى بدايته مع عصر التنوير، والنقد والنزعة الإنسانية، حيث تمحورت مهمة العقل في النقد وليس تبرير الواقع، استعادة أهم ما أقصاه العقل: الجنون، الإيروسية، الحب، الخيال، الجسد، الجنس. ظهر نوع من الكتابة الذي حوى في طياته تناقضات شكلية الكتابة في الألم ضد الألم أو من اجل بلوغ السعادة، الكتابة في الإيروسية من اجل بلوغ القداسة، الكتاب مع الخوف ضد الخوف، الكتابة الجنون ضد الجنون.

* المقصود بكلمة **الوعي** هنا، وكلما وردت فيما يلي،

من خلال هذه الاوراق سوف أحاول أن أعالج هذا النمط الجديد في الكتابة، كيف يمكن لهذا النوع من الكتابات أن تصبح هي في حد ذاتها تجربة للحدود القصوى أي تجربة التخوم، والمناطق البينية التي تقف على حدود الوعي والجسد؟ كيف يمكن لهذه الكتابات أن تساهم في الانفتاح على المهمش وتجاوز الانغلاق؟ من خلال **بطاي**.....؛ باعتبارة مؤسس لهذا النوع من الكتابة الجديدة، التي ظهرت مع البنيوية ومدرسة الاختلاف فيما بعد* ..... وتمهيد لبارت تميزه والاكثر شبها ببطاي من حيث اعتماده لتقنيات بطاي في الكتابة العلمية بتقنيات ادبية

2.بارت و باطاي الكتابة كتجاوز للحدود:

يمكننا القول بأن رولان بارت** مثله مثل العديد من المفكرين والفلاسفة مر إنتاجه الفكري بعدد من المراحل، فقد كان يتنقل بداية من الوجودية والماركسية، فالبنيوية ثم انتقل إلى علم اللغة والنقد النصي، فقد استطاع أن يجمع بين علم الاجتماع والنقد الأدبي كما يرفض بارت رفضا قاطعا أن يتقوقع أو أن يحصر نفسه وتفكيره في زاوية محددة من التفكير أوفي تخصص معين، فقد حاول بارت أن يكشف العلاقة التي تربط بين الفكر والمجتمع، بدون استخدام المناهج الاجتماعية المعتادة، فإن حاولنا ترصد منهجه إن صح لنا القول بأن نعبر عن أسلوبه في تقفي العلاقات في بحوثه يمكننا القول بأن المنهج الذي تميز به هو التركيز على لغة النصوص، بل وذهب إلى أكثر من معنى النص الشكلي إلى البحث والعثور وتقفي وترصد العلاقات اللاعقلانية اللامنطقية التي تربط بين ثنايا النص، فهو كان ينتقل من المتجلي والمرئي في النصوص إلى المعنى الخفي والمتستر وراء سطور النصوص، أي كان يبحث في تداع حر عن المعنى الكامن وراءها قصد فضح كل الأفكار والإيديولوجيات الزائفة.

بل وذهب إلى أكثر من ذلك، بحيث حاول مراجعة أو بعبارة أخرى مساءلة المنظومة المفاهيمية نفسها، أي الإستراتيجيات التي كان المفكرون يشتغلون عليها، يفكرون بها وداخلها، لكن الثمن الذي

* كما فعل فلاسفة **مدرسة الاختلاف الفرنسية**، فيما بعد، بارت وفوكو ودولوز وديريدا غيرهم الكثيرين، باعتبار بطاي الاب المؤسس لهذه المدرسة على النحو الذي سياتي معنا في المبحث الخاص .

** رولان بارت ولد سنة 1915,و توفي في شهر فبراير سنة 1980, بعد أن صدمته سيارة وهو يعبر الشارع المواجه لكوليج دي فرانس.

كان على باطاي أولا ثم بارت ومن تبعهم من مفكرين وفلاسفة دفعه مقابل ذلك هو التضحية بإستراتيجيات طمأنينة الهوية/أوهام الايدولوجيا/آليات التفكير السائدة؛ المنظمة والمتسقة والمتماسكة والمرتبة والعقلانية..الخ، بل وبدون بديل يذكر، وإذا كان هناك بديلاً ما فهو عدم التحفظ الشديد، فضلاً عن فقدان متعة الاطلاع ولذة القراءة، إذ لم نعد نستمتع بالاطلاع/القراءة المجانية (كما يصف بارت) بل أصبح الأمر شغل ومسؤولية. فقد سعى باطاي وبارت وغيرهم الكثيرين إلى استحداث لغة جديدة في الكتابة والفكر معا، لغة قريبة ما أمكن للغة العلم والتكنولوجيا، لغة مختلفة عن لغة معيار القيمة/**الأنا** الصواب واليقين والحقيقة..الخ، مقابل **الآخر** الخطأ والمشكوك فيه والزائف، **لغة** الايدولوجيا/**الهويات** والماهيات، لغة البحث عن لب المكونات المضامين الدلالة المصدر الأصلي والأساسي والجوهري..الخ، والكامنة وراء الظاهرة، باختصار سؤال: **لماذا؟، ما هو؟، ما هي؟**. تلك اللغة التي نتداولها حتى يومنا هذا، رغم تنوع واختلاف الألسن.

فمن خلال "اللغة المستخدمة في كتابة.....لا يساعد ذلك في تصنيف بارت، فهو أقرب إلى اللغز، يشبه في ذلك جورج باطاي الذي لا يستطيع أحد، فيما يقول بارت نفسه، أن يصنفه في فئة بعينها، تجعل منه روائيا، شاعرا، كاتب مقالات، اقتصاديا، فيلسوفا أو متصوفا"(إديث كريزويل، 1993، ص50)، فبارت مثله مثل باطاي لا يمكن إطلاقا حصره في ميدان معين، فيضل مزيجا ملغزا يعاند التصنيف.

ولقد مررت كتابة بارت وفلسفته اللغوية بعدة طفرات وتحولات، بحيث أنه في بواكيره كانت كتاباته تسير في خطى موازية لأعمال كل من ألان روب جريبه* وأفكار جون بول سارتر من البلاغة الزائفة ومن كل التركيبات التي لا جدوى لها، لكي يصل إلى غياهيب الأساليب التي يعتمدها الكتاب، وبتالي يصل إلى النماذج العليا للاوعي، وفي هذه الفترة بالتحديد طرح مقترحه المسمى "الدرجة الصفر في الكتابة "، وهذا المقترح هو "عبارة عن فكرة قرينة تصوره للدور الذي يؤديه هذا المكان الصامت الواقع بين الكلمات المكتوبة والمسيج بها في أن واحد، هذا المكان الذي ينفتح على التفسير في علاقته الجدلية بهذه الكلمات،

*ألان روب جريبة (Alain Robbe-Grillet 1922- 2008)، كاتب ومخرج فرنسي

والذي يقوم بتحييد لغة لا يمكن لها أن تكون محايدة حقا" (إديث كريزويل، 1993، ص251). وكانت هذه الفكرة بمثابة جواب عن السؤال المشهور لسارتر (ما الأدب؟).

حاول كتاب، **الدرجة الصفر في الكتابة**، أن يثبت **الجانب الذاتي**، **الاسلوب الفردي** في مواجهة ما يسمى بالأدب الموضوعي، الملتزم بقضايا الوطن والامة، محاولا رسم نهج جديد في الكتابة الأدبية تعبر عن تطلعات المفكرين والفلاسفة الفرنسيين الثورية والتغيرات الجذرية التي كانوا يطمحون إليها، **بعد استقلال فرنسا** بانتهاء الحرب العالمية الثانية، ثم بعد ذلك مثله مثل جل المثقفين الفرنسيين وجه أنظاره إلى السميولوجيا، أوعلم العلامات عند دي سوسير، وبعدما طبق شتراوس علم اللغة البنيوي على الظواهر الاجتماعية انتهج بارت نفس خطوات شتراوس و بدء يدرس الأدب من هذا المنظور الجديد، بل واخذ يطبق هدا المنهج المستحدث في دراسة كل الإرث الفلسفي والثقافي. فقد كان بارت في هذه المرحلة الفكرية بنيويا بامتياز إلى أن تجاوزها إلى ما بعد البنيوية لاحقا.

كان بارت معجبا بدي سوسير لرفضه اعتبار اللغة كيان مطلق، تأكيده على وجود علاقة تتوسط بين اللغة واستخدامها، لأن بارت كان مهووسا بإيجاد العلاقة التي تتخلل الكلمات، مكان صامت ومتغير وثابت في الوقت عينه. وربما هذا هو السبب الرئيسي الذي أثار حفيظة الكتاب المحافظين وجعلهم يصفون كتاباته بالمعقدة والدوجماتية و الاديولوجية.

ويشترك كل من باطاي وبارت في ذلك النهج الذي سلكوه في الرفض الرومانسي للبلاغة أو الإفراط في المعاني (Excès DU SENSE)، و مهاجمة الخطاب الكلاسيكي محاولين "إعطاء شارة حمراء إلى القاموس القديم" (VICTOR HUGO, 1843, P42).

فمن جهة أخرى نجد جورج باطاي يمثل هذا النهج بامتياز(النمط الفكري الجديد في التفكير والكتابة معا)، فإن أي شخص يسعى جاهدا لقراءة أعمال باطاي باهتمام، يجد نفسه وبشكل سريع محاصرا في النص، ويجد نفسه ينحرف بعيدا عن أي شكل من إشكال الفهم الكلاسيكي، يجد نفسه أمام قراءة نص دقيق ومتناقض في الوقت عينه، يجد نفسه بكل بساطة مرتبكا أمام هذه الرؤية الجديدة للكتابة والتفكير معا، حيث أن باطاي نفسه يصف كتابته وأفكاره بأنها: "غير متداولة وغير مقبولة "، ومن أجل

هذا كان يعتذر أحيانا " أعتذر عن وضع الأسئلة التي تراودني منذ البداية خارج عن إطار المعتاد " .(Revue d'esthétique,1971, P225-232)

فماهي هذه الرؤية الجديدة أو وجهات النظر التي وسمها باطاي بأنها غير اعتيادية وغير متداولة؟ المجموعة التي أكد بارت، رغم اختلاف مواضيعها، المقالات الاقتصادية، والفلسفية والقصص، بأنها يمكن أن تكون "نص واحد"(Revue d'esthétique,1971, P225-232) يبدو أنه قائم في الواقع على تماسك كامن (une cohérence latente) تم استئنافه إلى ما لانهاية، كما لو أنه تم إعادة صياغته ليظهر في نهاية المطاف نفس أساليب التفكير والتأملات التي يبدو أنها تلعب على كل الأساليب المنطقية المعهودة والمتفق عليها.

يجب علينا تحديد الأساس المنطقي الذي تقوم عليه أعمال باطاي، وقام بتأكيده من خلال كل أعماله، والذي يتمثل في الجمع بين أكثر المواضيع والعلوم تعارضا: بين العلم والفن، بين المقدس والعلم العملي، بين ما هو مفيد وعملي وبين ما هو غير مفيد وغير عملي، بين ما هو معروف وبين ما هو مجهول، بين العب والجدية، بين العقل والعاطفة، تلاعب بهذه الأضداد في نصوص بشكل ملفت للانتباه وغريب جدا عن ما عاهدناه في الكتابات الكلاسيكية أثناء معالجته للمواضيع.

كما قال بارت، إن أعمال باطاي هي أعمال غريبة راديكالية عن الأدبيات التي تتجاوزها " فكيف نصنف جورج باطاي بالفعل؟ هل هذا الكاتب روائي أم شاعر أم كاتب مقالات أم اقتصادي أم فيلسوف أم صوفي؟ الإجابة صعبة للغاية لدرجة أننا نفضل نسيان باطاي في الكتب المدرسية والأدبية. (Roland Barthes. , 1994, P1211-1217) فبالنسبة لبارت لا توجد أي أعمال أو كتابات أدبية لباطاي لا تتميز بالمغايرة والتباين، وهذا هو الأمر الذي يحيلنا بالضرورة إلى التشكيك في الفروع القديمة ويتحدى الامتيازات الممنوحة لأصالة النص الأدبي على النص النقدي، ويتجاوز بذلك لأول مرة الحد القديم للخطاب.

أي أن كل من باطاي وبارت ومن لحقهم من مفكرين وفلاسفة، قد سعوا جاهدين لتغير نمط التفكير والكتابة وحتى إستراتيجيات القراءة الكلاسيكية فقد اقترحوا " استراتيجييه قراءة **مختلفة فردية**

ونوعية، والتي لعل من شروطها أنها لا تخضع لاستراتيجيات الكلام السائدة الجماعية، والتي تهيمن فيها **مفاهيم**، **أوهام** معينة في زمن مكان ما، سواء في الإنتاج أو في استهلاك الكلام، أي أنهم اقترحوا إستراتيجية مفهوميه لا تخضع لتقنيات السحر والشعوذة" (محمد عبد الحميد المالكي، 2005، ص8) وهذا ما مهد لمدرسة الاختلاف الفرنسية أو بالأحرى ما أسس لها.

بحيث أن هذه الأخيرة تميزت بالاعتماد على التقنيات الأدبية في الكتابة، **الانفعالية والشعرية**، وهو الأسلوب الذي تميزت به عموما عن المدارس الأخرى. وذلك للتخلص من "**معيارية اللغة**"، لكي تكون الكتابة أكثر حرية، ربما تكون هذه هي إحدى الارغامات التي أجبرت فرديريك نيتشه لكي يلجأ إلى ابتداع أسلوب جديد في الكتابة الذي يتمثل في "الكتابة الشذرية".

وبالتالي فإن هذه الإستراتيجية الجديدة في الكتابة والقراءة والتفكير معا، "تستهدف أسئلة وتساؤلات **اللا مفكر فيه والمسكوت عنه** أيضاً.. تشتغل على **الكيفية** التي يتم بها تشغيل تقنيات السحر والشعوذة، أو **كيفية** صناعة السحر والأوهام، وبالتالي فإن هذه الكتابة كانت تسعى إلى التحرر من هذه السلطة غير شرعية وترك الطبيعة تتحدث عن نفسها. ونبذ وتجاوز كل ما هو موروث ومتداول لا من ناحية التفكير أو الكتابة.

ويمكن تأصيل لهذه الكتابة من حوالي سنة 1780- 1900 وبالتحديد مع كل من ساد وفورييه ولويلا وباطاي في ما بعد، بحيث تأسست لغة جديدة تخلق معنى جديد، في تاريخ الكتابة الفرنسية. هاهنا أنا بصدد الحديث عن تأسس نمط أو أسلوب جديد في الكتابة ولغة تختلف راديكاليا عن اللغة الكلاسيكية، لغة لها هوس بالتمزيق والانتهاك والتجاوز.

فهذا النوع من الكتابة تمكن من زحزحة الوحدات المعجمية و التعريفات التي ترسم الحدود لأن هذه الأسئلة (أسئلة الماهية) لا تؤسس للمعاني وإنما هي" اقتراح لبرنامج سردي (narrative programme) تعاقدي بدئي يحدد نمط تداول الموضوعات داخل المساحة النصية الفاصلة بين لحظتي البدء والنهاية هي وحدات سردية منظمة بشكل سابق عن تجليها النصي" (سعيد بنكراد، 1994، ص27-65) ، وهذا ما ثارت ضده هذه الكتابات في محاولة لانتهاك هذه الحدود والنمطية في الكتابة والفكر"

ولهذه الأسباب فإن الذات الفردية تعلن عن تحديها السافر للمسلمات والبديهيات والتعريفات والحدود. وإن كل محاولات **الحس المشترك***، من خلال تقنيات خطاب "الكتابة الميتة" (دريدا) واللوغوس(العقل الكلي المحض)، ثنائيات أرسطو الأبدية (الخير والشر، الجمال والقبح، الكرم والبخل..الخ)، لتفسح الساحة إلى خطاب **الاختلاف، نحو التأويل والاحتمال**".(محمد عبد الحميد المالكي، السنة، ص12)

لهذا السبب تم إقصاء وتهميش كتابات العديد من الأدباء، المفكرين، والفلاسفة من الساحة الفكرية ونعتها بأقبح النعوت كتابات مجنونة، الكتابات الإرهابية، الكتابات اللاعقلانية، كتبات الشاذة، وغيرها من النعوت التي تسببت في إقصاء هؤلاء المفكرين وتهميش كتاباتهم من أمثال **المركيز دو صاد وجورج باطاي.**

لأن كتاباتهم كانت تلغي الحدود وتشكل خطر على الكتابة والفكر عموما، لأن هذه الكتابات لم تكن تعترض فقط على طرائق الكتابة والتفكير، بل كانت تمزقها، وذلك عن طريق تلطيخها إن جاز لنا قول ذلك، من خلال المواضيع التي تتناولها كونها مواضيع غير اعتيادية وغير متداولة أو بجعل هذه الأخيرة (الكتابة والتفكير السائد) عرضة للسخرية. هنا تزحزح الحدود ويهاجم الفكر بالفكر أو الكتابة بالكتابة وبالتالي تمزق من خلال طبيعتها أي تمزق من وفي عمقها ومن ثم يصبح محرقا، أو بعبارة أخرى منتهكا. ويمكن لنا أن نلاحظ هذا الانتهاك بشكل جلي عند باطاي من خلال المواضيع التي كان يعالجها (الجنس، المقدس ..الخ)، ولكي نهرب أو نفلت من هذا التمزيق الذهني نعزو هذا النوع من التفكير الكتابة إلى خانة الطابوهات والمواضيع الفاحشة، بينما "الأمر يتعلق بشيء أخر تماما. بدمار داخلي يشوه التركيبات العادية "(جورج بطاي، 2010، ص11)

*__الحس المشترك__، هو الانطباعات الحسية المباشرة، أو هي العادات الذهنية السائدة في زمان/مكان ما... كما هي تعبيرات: واضحة وبديهية وفهم ومظاهر/نتائج/مكونات/ أسباب الظاهرة...الخ. والتاريخ يظهر بجلاء أن الظواهر خادعة، أو هو ما يعرف في التجارب العلمية بـ **خداع الحواس**... "ذلك لأن المنطق الإنساني وحده غير كاف لاكتشاف الحقيقة، أو لان الإنسان يعشق الرتابة وينفر من بذل الجهد، ويتعلق بعاداته ويعاند كل ما يمس تقاليد تلك العادات القديمة"، الإشكالية أن هذه العادات الذهنية والانطباعات البدائية المباشرة، لها من التقاليد الراسخة بالقوة والهيمنة، بالتراكم الأركولوجي التاريخي، ما يمنحها صفات التقديس والعقيدة (اليقين)، لمواجهة أي خطاب (= تجربة) جديدة، وما اضطهاد العلماء والمفكرين بتجارب بعيدة علينا، غاليليو، وإحراق ديكارت لكتابه "الفيزياء" لدى سماعه بالاتجاه إلى اضطهاده.انظر مصطفى الرقي، النسبية ص11،20، وما بعدها.

فمسألة **الانتهاك واللعب بالأضداد** هي فن احترفه باطاي من خلا كتاباته الثائرة، فباطاي كان يلعب بالشر ضد الخير، فمثلا نجده ينقد شعر وكتابات السرياليين لأنه كان يرى بأنها ساذجة وعاطفية ولا تهتم بالجانب الدنيء والرذيل للحياة، بينما هو يري بأن " هذه النذالات، من جهة أخرى، هي بالضبط وحدها التي تبدو لبطاي جديرة بالشعر عندما الرغبة في تكثيف تمرده أو تسريع الرؤيات، التي تسبق تأملاته تقوده إلى كتابة غرائزه الكلامية التي يمثل البيت الشعري مكانها الملائم"(جورج بطاي، 2010، ص12)، وهنا نلاحظ أن باطاي يقوم بتجاوز وانتهاك التقليد الكلاسيكي في الكتابة عموما والشعر خصوصا، من خلال الانتقال إلى الضفة الأخرى من الكتابة عن المشاعرة الرومانسيات إلى الكتاب في الألم وعن الشر والكراهية، وباتالي فهو يغير أسلوب ونمط الكتاب بل ويفكك سحر الكتابة الرومانسية.

إنتهج باطاي أسلوبا غامضا شكليا وغريب، أن تعري المفاهيم والأفكار وتمزقها من أجل أن تصل إلى لبها أو جوهرها في أكثر صوره تجريدا ووضوحا. أي بلوغ ما يطلق عليه باطاي أقصى الممكن، بنخر، وتفكيك ،وهدم، وزحزحة، تمزيق الحدود (les limites)، وعلى هذا النحو في الكتابات الباطايية يتم النفاذ إلى الفكر والأدب والشعر والدين والقداسة والتصوف ..الخ في صورتها "الحقيقية " من خلال التمزيق.

"فصورة الجرح الذي أصبح فما للحقيقة يتلازم وصورة "الشق"، فما سفليا ينطق بالتجربة الأصلية للرغبة، للدهشة، للموت. والكلمات التي تخرج عن هذه المنطقة تتبدد في الوقت نفسه فيها"(جورج بطاي، 2010، ص13)، فهذا التمزيق والانتهاك يصبح هو السبيل الوحيد لبلوغ المعرفة الحقيقية المتجردة من الزيف والأوهام، أي أن هذا الانتهاك يجعلنا نمسك بالمستحيل ولحظة الحقيقة هذه تسمح للقلق والشك والارتياب بأن ينفذ إلى داخلنا ويكشف عن هذا الجانب المتصدع الذي يتبدد داخله المعنى واليقين.

وعلى تخوم هذا التشظي، لا نملك إلا اختيارين إما ان نؤزم الإدراك بقصد تفجير الإنخطاف ولربما الشطح أو أن ننساق وراء الرؤى السائدة المعممة التي تمنح لنا الطمأنينة والسكون. أي إما أن نحطم الأغلال التي تقيدنا وتضبطنا في الكتابة وتكبح التفكير، وبالتالي ننتقل إلى أقصى ما يمكن للإنسان استيعابه والكتابة فيه أو أن نرضخ ونقبل ما نحن عليه. وبتالي على الإنسان أن يضحي بالكتابة من أجل

الكتابة أو بنمطية التفكير من أجل بلوغ التفكير الحقيقي" أقصى الممكن " الذي يقبع خارج المتناول ويبقى غاية لا يمكن القبض عليها، لذلك فإن تحقيق غاية ما من وراء هذا النوع الجديد في التفكير والكتابة معا ليس هدفا لهذه الكتابة التي تصبو إلى التضحية وانتهاك التخوم بدون أي أمل أو هدف وهذا في حد ذاته هو الغاية القصوى لهذه الكتابة المتصدعة.

فهذه التضحية تقلب التصور المعتاد للكتابة والتفكير في الوقت عينه بعنفها، فتصبح هذه اللحظة بالتحديد لحظة قلب القيم ولحظة الحقيقة. فباطاي مثلا استطاع أن يجمع في كتاباته بين اللحظتين ليرتمي في المجهول (l'inconnu) وفيه يختفي عن الأدب وعن كل الناهج والأساليب الكلاسيكية في الكتابة التفكير معا.

وهذا النوع الجديد في الكتابة يعبر عن وضعية بالغة الإزعاج وهو سبب **إقصاء** هكذا خطابات من الدراسات الأكاديمية والأوساط الجامعية والفكرية عموما، فهذه الكتابة التي تراهن على التفكيك والتمزيق والهدم من أجل بناء تصور جديد في الكتابة والتفكير معا، ترفض المغالاة في التفكر التي تساهم في إرساء دعائم الوهم، وبالتالي هذه الكتابة تعبر عن الهامش وتساعد على تحمل الحياة.

بالنسبة لباطاي ما يحد ويشوه الكتابة والتفكير الكلاسيكي، هو هذا التفكير أو هو الكتابة عينها عندما ترضى بهذه الحدود التي تسيجها. ولذلك باطاي يلعب بكل من حدود الكتابة ومواضيع التي يضيء عليها الفكر، فنجد باطاي يلتفت إلى الهامش فهو يتحدث عن الجنون، المجون، الإروسية، الموت، الضحك...الخ بدل الحديث عن العقلنة، التخلق، الحياة والتراجيدية...الخ، فهو يمزق هذه التخوم ليصل إلى أقصى الممكن أو بعبارة أخرى يمسك "المستحيل".

فبنسبة لباطاي لا يمكن أن نتمكن من معرفة معنى الكتابة الحقيقية أو كيان الإنسان الحقيقي وحتى الشعر الحقيقي إلا من خلال سبيلان: وهما التخلي عن هذه الأوهام التي تكبح تفكيرنا وتؤطر طريقة كتاباتنا وتعاطي مع مواضيع دون أخرى، ومن جهة أخرى التضحية بما نعرفه لكي نفلت من سيطرة المعرفة نفسها. المعرفة التي لا تسمح بالتفكير في الموت الجنس، الجنون...إلخ وهذه الممارسة –التمزيق أو الانتهاك– هي مدخل لبلوغ مرحلة اللامعرفة وبتالي معرفة المعرفة الحق، وهنا تصبح هذه المحاولة التي

كانت تبدو لبطاي عقلنة، شيطنة وسبب في إزاحته للهامش مثله مثل كل مفكر أو فيلسوف حاول إزاحة ونخر هذه الحدود التي أصبحت تقليد يعتز به الكثيرون والمساس بهذه الحدود يعتبر جريمة على هؤلاء دفعها فيتجرع سقراط الشقران في مشهد تراجيدي ويعدم كوبرنيكوس ويحرق قاليلي قاليلو، ويتهم نيتشه بالجنون وصاد بالفسق ويشعر كفكا بالذنب ويعلن سارتر بأن باطاي مصاب بمس جنوني.

فبطاي يقوم باستعارة بعض المفاهيم من بعض الحقول ليس بهدف الإشارة إليها وأنما لتشويهها، أو بعبارة أدق لينقلها إلى ذلك الطرف الأقصى الذي يتحدث عنه في جل كتاباته الذي يتقلب فيه المعنى إلى ضده. كاستعارته كلمة الصوفية أو التصوف في جل كتاباته واستعمالها بمعنى خاص.

فباطاي كان يقوم بالبحث عن الأوهام والأكاذيب الممجدة لأي علم أو أي ميدان فكري، فهو " يسعى إلى أن يضع أمامه كل ما يهدف أي نشاط لإخفائه، لا الشعر وحده بل ممارسة الفكر أيضا" (جورج بطاي، 2010، ص16) ، وبهاذ يحاول باطاي البقاء على تخوم الهامش واللامفكر فيه أو**المسكوت عنه** في تاريخ الوعي البشري، أو أن يبقى في حضور اللامعنى، واللامعرفة، أو كما اصطلح علية المجهول (l'inconnu)، فبطاي قد تمكن فعلا من أن يؤزم الفضاء الذهني للتأمل حتى يهيئ للخروج من الذات والفكر والكتابة.

شهد الخطاب الفرنسي في الفترة المعاصرة تغير راديكالي أو إزاحات كثيفة في فترة مابين الحربين وما بعد الحربين العالميتين الأولي والثانية، مسايرة لديناميكية الفكر، والتحولات المعرفية الكبرى آنذاك. بحيث أصبح الخطاب النقدي يشتغل على الهامش والمقصي (العرضي، الجزئي ،المتغير) من الخطاب الكلاسيكي، اتجه هذا الخطاب في اتجاه معاكس من الاهتمام بالخارجي إلى الاهتمام بالداخلي الجواني، الباطني، وهذه النقطة بالتحديد هي النقطة التي أحدثه طفرة ومنعرج نوعي في طريقة التفكير والكتابة داخل النسق أو البردغم الغربي، بحيث أصبح البحث الآن هو التنقيب عن مناطق الصمت وغمار الهامش، البحث في المناطق التحتية للنصوص مخترقا طبقاتها وكيفية تشكلها، وبتالي أصبح هذا الخطاب النقدي يهيم في أعماق النصوص التي لا تثبت إيحاءاتها. وأصبح الكتاب والفلاسفة لا يرضون بالظاهر بل

ينقبون ويخترقون النصوص في محاولة لفهم بنيتها الداخلية والمسكوت عنه داخل هذه النصوص فبارت مثلا يرى أن حركة النص "هي العبور والاختراق" وهذا ما ثار عليه البعض واعتبروه انتهاك للنصوص.

فقد وقف بطاي و بارت و العديدين من ما تبعوهم في نهجهم على تخوم الذاكرة والنسيان، بعبارة أخرى على ما تخزنه الذاكر من صور تم إزاحتها من الساحة الفكرية أو من الوعي بصفة أعم، وبالتالي فتحو أفاق جديدة لتفكير والكتابة التي تشتغل على الحضور والغياب معا.

وهذا الخطاب النقدي تمكن من تجاوز البنية السطحية، وبتالي تجاوز حدود الرؤية العقلانية للنص، التي تقر بثبات معنى النص وانغلاقه، وتنفي التعدد، وهذه الرؤية قتلت العديد من النصوص.

3.الخلاصة:

ما نخلص إليه هو أن باطاي كتب لتحرير نفسه من التراكمات التراثية التي تضغط عليها ومن التصورات التي ورثنها عن الطفولة والبيئة والمجتمع بأسره.

الكتابة بالنسبة له بمثابة حفر أركيولوجي في الأعماق، بمثابة تحليل نفسي لذات الفردية والذات الجماعية الأوربية على حد سواء. كانت أداة حرب ضد كل ما هو سائد في الفكر الفرنسي من أجل تعريته، تفكيكه، أو حتى تحطيمه وإزالته من الوجود .(مساءلة أشد المفاهيم رسوخا)

كان يسعى إلى تحرير بلاده ومجتمعه من الأخطاء والترسبات التراثية الراسخة. فهو واحد من المفكرين الأوروبيين الثائرين الذين كانوا يطمحون إلى التغير وبشكل راديكالي(معنى التصوف كما ورد التجربة الباطنية : أي من الجذور) فباطاي قد أعلن العصيان على كل أسسه منذ نعومة أضفره.

ساهم في تكوين ما نعرفه اليوم عن البلدان الأوربية بأنها أراضي محررة من اللاهوت الطائفي واللاهوت المذهبي الذي كان يعشعش في الفكر الغربي ويكتسحه كليا .

بالنسبة لباطاي كانت الاديولوجيات تتحدث عن كل شيء ماعدا الشيء الذي ينبغي التحدث عنه. كانت عاجزة عن تسمية الأسماء بأسمائها، عن تحمل مسؤولية الواقع ومشاكله الملتهبة.

بعد اللحظة الباطايية انفجر الواقع بالمكبوت التاريخي في كل مكان ولا يزال ينفجر حتى الآن.

بطاي ومن لحقه من مفكرون دخلوا في معركة لا نهاية لها من أجل تفكيك الانغلاق التراثي المتراكم .على مدار قرون.

4.قائمة المراجع:

1. إديث كريزويل، ترجمة جابر عصفور، 1993، عصر البنيوية، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى.
2. جورج بطاي، 2010، القدسي وقصائد أخرى، ترجمة محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى.
3. رولان بارت، درس السيميولوجيا، ت عبدالسلام بنعبد العال
4. سعيد بنكراد، 1994، مدخل إلى السيميائيات السردية، دار تانسيفت، المغرب.
5. محمد عبد الحميد المالكي، سنة 2005، سلطة الكلام...إرادة القوة، مشروع بيان السيميائيات السردية، دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا.
6. Roland Barthes. 1994, « de l œuvre au texte « œuvres complètes t2 1966-1975 PARIS SEUIL .
7. VICTOR HUGO, 1843 , « REPONSE A UN ACT D ACCUSATION « LES CONTEMPLATIONS PARIS GALLIMARD .
8. Revue d'esthétique, n24,juillet-september1971,p225-232 .